

المطران روبر رباط المطران روبر رباط

بنعمة الله

مطران الروم الملكيين الكاثوليك في أستراليا ونيوزيلندا

إلى الكهنة والشمامسة، زملائي خدام المذبح

ورهبان وراهبات ومؤمني أبرشيتنا المباركة

محبوبي المسيح

رسالة رعوية بمناسبة عيد الفصح المقدس والمجيد، 2019

أخوتي وأخواتي في المسيح،

" لهذا قوة الموت قد غلبت وسيطره الفساد التي كانت مستقوية علينا قد حطمت".

(القديس كيريلوس الإسكندراني)

في كتابه الصادر في عام 1882، بعنوان " الحكمة الفرحة والمبتهجة " وفي غيرها من الكتب، فإن الفيلسوف البروسي الأصل فريديريك ويلهلم نيتشه (1844 – 1900)، أعلن: "أن الله قد مات". ومهما كان يقصد بكلامه هذا من المنطلق اللاهوتي، فإنه في الظاهر كان يقول بأن الحضارة الغربية التي تركز على المسيحية، بتراتها المتجذر في كتاب العهد القديم، قد انتهت وحلت محلها العلمانية.

في الأمور الإنسانية، وفي الغالب فإن التصاريح الأكثر عنفاً وشناعة تحتوي على بعض حبوب أو ذرات من الحقيقة التي يمكن رؤيتها وملاحظتها فقط من قبل الأشخاص الذين ينظرون إليها بدقة وإمعان. حيث أنه بالنسبة لمؤمن وحتى أيضاً بالنسبة لغير مؤمن ذو إطلاع واسع، فإن قول نيتشه: "God is dead" وبالألمانية: "Gott ist Tot" أي ما معناه بالعربية " أن الله قد مات، هو في الواقع أمرٌ سخيّفٌ وغير معقول. بالنسبة لنا نحن المؤمنين فإن الله والموت ليسا أبداً كلماتٍ متصلةً بطريقةٍ منطقيةً.

ومع ذلك فهذه المقولة نقول لنا شيئاً ما، أي ليس أن الله قد مات كما يفهمها ويأخذها العلمانيون بطريقةٍ غير مترابطة، ولكن بطريقةٍ لا نستطيعُ أبداً أن نفهمها. في موتٍ ودفنٍ يسوع المسيح، أي الله الإنسان، الله نفسه، دخل في سرّ الموت، ولأن الموت ليس له سلطانٌ عليه، " فقد وطىء المسيح الموت بموته، وهب الحياة للذين في القبور ". (كما نقول في طروبارية عيد الفصح).

لهذا السبب، فالمسيحي يستطيع أن يتكلم عن الصليب كأمرٍ مقدسٍ ونفيسٍ وكريم، وعن موت المسيح كأنه هبة تُعطي الحياة. اليوم، لا يستطيع شخصٌ مثقفٌ غير مؤمن أن يقول بأن المسيح لم يوجد أبداً، أو أنه كان رجل دين يهودي يتجول من مكان إلى آخر وأن أتباعه جعلوا منه إلهاً. ومع ذلك، فإنه حتى بالنسبة للمؤرخين العلمانيين الذين لديهم المعرفة الكافية بإمكانهم أن يقولوا بأن أحداث الجلجلة خلال عهد بيبلاطس البنطي، كانت النهاية، لأن المسيح مات ودفن.

وقد لا يكون الأمر مختلفاً أكثر بالنسبة للذين تمكّنوا من التعرف على الحقيقة، والذين عرفوا يسوع المسيح كربٍ والهٍ ومخلص. فبالنسبة لنا نحن أسرة الإيمان، "فإن التكفير عن الخطيئة، وهو العمل الإلهي الذي بدأ بتجسد المسيح، بدأ يتم ويتحقق بالتضحية بموته، ولكن ليس كبديلٍ لتهدئة الغضب الإلهي، إنما كانتصارٍ مقدسٍ أطاح بسلطان الموت بالموت وبتحرير الإنسان من عبودية الخطيئة والموت وإزالة الحواجز التي منعت تحقيق الغاية الأساسية للإنسانية التي كانت مهمتها منذ تكوينها". (دانيال ل. مارشانت، المدرسة الدينية، مكتبة الجامعة – الدراسة الجامعية التي نشرت عام 2011).

إن القضية ليست فقط بأن المسيح قد مات. فعبارته موته متعلقة بقيامته من بين الأموات، وإلا فإن الصليب يُصبح حدثاً منعزلاً. لذلك، فالمسيح بموته وقيامته، المسيح القائم من الموت والرب الممجّد، يمنح الحياة لكل البشرية وللكون كله.

فيموته وقيامته جدّد المسيح كلّ الأمور والأشياء. فالنور الذي لا يُفهَرُ الذي سطع أمام القبر المقدّس دخل كلّ الأمور والأشياء. فالخليقة كلّها، بعدّ القيامة، قدّ تغيرت تغييراً كلياً وهي تختلف تماماً عما كانت عليه قبل القيامة.

"إذا ما هي مسؤوليتنا؟ الفصح المجيدُ يدعونا لكي نعيش كالرجال والنساء الذين سمعوا صوت البوق والذين سيقومون أحياءً مثلّ قيامة الموتى ويعيشون بفرح. قال نيتشيه بطريقة واضحة ومشهورة، بأنه سوف يؤمن بالمحيي عندما يظهر المسيحيون ويُبدون بأنهم أحياء بشكل أكثر وضوحاً... هذا أمر عادلّ وجميل جداً: دعونا نعيش بطريقة يعرف الجميع من خلالها بأننا أحيينا - وأنّ نعيش كلّ يوم بحرية وفرح". (الأب لورانس فارلي كاهن كنيسة القديس هيرمان الذي من آلاسكا الأرثوذكسيّة في كندا).

نحن نعيش في أوقات لا تختلف عن الأوقات التي كانت حاضرة في القرن التاسع عشر، أي زمن العلمانيين والذين يسخرون من كلّ شيء. في الحقيقة، وبطرق ووسائل مختلفة، فإنّ مجتمعتنا الصناعية المعاصرة لديها أمور متشابهة مع تلك التي كانت سائدة في أوروبا خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر - فاليوم، وفي دول العالم الأول هناك تقدّم إقتصادي مستمر، وعلى المستوى العالمي هناك سلام وإستقرار متشابه، وفي العديد من الدول هناك نموّ مريح لدى الطبقات الإجماعية الوسطى، وأن العلوم والتقنيات تحقق الكثير من التقدّم السريع.

إذا وفي مظهر من مظاهر مجتمعتنا الغربي المعاصر، فإننا متشابهون بصورة خاصة مع ما يُسمّى بأوروبا الجميلة، مرحلة غروب القرن التاسع عشر، حيث العلمانية كانت في صعود متواصل وواسع الانتشار وأحياناً بصورة عدائيّة.

في التاريخ السياسي الأوروبي وخلال حكم العائلات الإمبراطورية، كان الدين هو الذي يُعطي الشرعية للحكومات، أما الآن فإنه وبصورة متزايدة فإنّ الدولة هي التي تضع القواعد للممارسة الدينية، هذا إذا لم تضع ركائز العقيدة، وهذا ما بدأنا نلمسه مؤخراً في أستراليا.

في أستراليا، إنّ التدخل في التشريعات الخاصة بسرّ الإعتراف تشير نحو تدخل الدولة في قضايا ممارسة الأسرار الكنسية، مع القليل من الأسباب المقنعة، هذا إذا كان هناك وجود لهذه الفئات. أمّا بالنسبة للتعدّيات على ممارسة سرّ الإعتراف، فإنّ موقف الكنيسة الكاثوليكية وبدون أي شكّ الأرثوذكسيّة أيضاً، يدعونا بكلّ بساطة أن نسترجع الكلمات التي قالها الشهيد الإنكليزيّ القديس توماس مور في القرن السادس عشر: "أنا الخادم الصالح والأمين للملك ولكن الله يأتي أولاً".

في ليلة عيد الفصح المجيد، ليلة الهجمة، فإنّ الإعلان يصدح بصوت عالٍ: المسيح قام من بين الأموات. هذا الإعلان ليس فقط مرجع لحدث تاريخي حصل منذ نحو ألفي سنة مضت، إنّما هو تصريح وإقرار بحقيقة حصلت فعلاً... لا نقول إنّ المسيح قام كحدث من الماضي، ولكننا نقول: إنّهُ القائم من بين الأموات، وهذا في الواقع تحدّ كبير يصدح بقوة في العتمة من قبل المؤمن. الله ليس ميتاً. فإننا نعرف بأن يسوع المسيح حيّ وعائش. وهو، في الحقيقة، قد قام من بين الأموات، فهو حقيقةً الربّ.

أصدقائي الأعزاء،

أمل أن يكون عيد الفصح المجيد والمبارك لكل واحد منكم، ولكل شخص عزيز عليكم، مناسبة تتألون من خلالها النعم غير المحدودة، مع أفضل البركات من الأعالي...

Christ is Risen! المسيح قام! Χριστός ανέστη!

مع أصدق صلوات الفصح المجيد والمبارك، ومع بركتي الأبويّة

✠ روبير رباط

من أبرشيتنا في غرين أيكير - نيو ساوث ويلز

عيد فصح مجيد ومقدّس، 2019